سلسلة قصص الأطفال:

(١)

سماحة الإسلام

مع غير المسلمين

للأطفال

من خلال قصة سيدنا عمر بن عبد العزيز

بقلم

أحمد علي سليمان

الباحث بالأمانة العامة لرابطة الجامعات الإسلامية

(جامعة الأزهر)

الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

إهداء

أهدي هذا العمل إلى ابني

محمد، وأدعو الله -تعالى- أن ينبته

نباتًا حسنًا، ويجعله ذرية صالحة..

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)..

وبعد،،

فإن أغلى شيء لدينا هم أبناؤنا، فلذات أكبادنا، الذين يجب علينا أن نبذر الخير والحب والتسامح في قلوبهم، حتى ينشئوا على محبة الله ـ تعالى ـ، والوطن، والناس أجمعين. ومما لا شك فيه أنها مهمة صعبة، يجب أن تتضافر كافة جهود المؤسسات المعنية لتحقيقها، حتى نسهم في بناء جيل نابه، وقادر على التعايش السلمي، والمحبة، والعطاء، ومواجهة التحديات بالحكمة والروية..

○ وفي هذا الإطار يسرني أن أقدم لأبنائنا الصغار مجموعة من القصص الإسلامي التي

تحمل بين طياتها طائفة مختارة بعناية، من القيم النبيلة، التي كادت أن تغيب عـــن حياتنـــا، والتي لو ترسخت فينا، وفي نفوس أبنائنـــا، لتحققت خيريتنا التي وصفتنا الله _تعـــالى_ بها، في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـــوْنَ عَـــنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران:١١٠].

أدعو الله _عز وجل_ أن يكلل جهودنا جميعًـــا إلى ما يحبه ويرضاه..والله من وراء القصد وهـــو يهدي السبيل..

المؤلف

أحمد علي سليمان

صوت المؤذن:

استيقظ الجد علي قبل الفجـــر بعــدة دقــائق كعادتِه.. ثمَّ ذهبَ ليتوضـــأ، ويـــستعد لـــصلاةِ الفجرِ.. وبعد لحظات إذا به يسمع أذانَ الفجـــرِ بصوت الشيخ خليل.. فرددَ الجدُّ الآذانَ.. وظلَّ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رســـولُ الله (صلى الله عليه وسلم).. ورفعَ يَدَيه إلى السماءِ يدعو الله ويقول: اللهم أكرمنا ووسع أرزاقنا يـــا رب العالمين..

ثم ذهب الجد علي إلى حجرة حَفِيـــده محمـــد، وحَفِيدته مريم، وقال لهمُا: هيا بنا لنصلى الفجـــر، فالصلاة خير من النوم، كما أن صلاة الفجر ثوابها كبير جدًا عند الله، والله يبارك لمن يستيقظ مـــن

نومه مبكرًا.. فقام محمد، وقال: بارك الله فيك يا جدي.

ثم قامت مريم وقالت: جزاك الله خيرًا يا جدي..

وسرعان ما استعد كل منهما للصلاة، ولكن مريم قالت لجدها يا جدي: أنا أحب أن أصلي في البيت؛ لأنني سمعت الشيخ في إذاعة القرآن الكريم يقول بأن [illegible]ة المرأة في البيت أفضل من صلاتها في المسجد؛ لأن الإسلام يحب أن تكون المرأة مستورة ومصانة وألا تكون المرأة مصدرًا للفتنة والإغراء، وقد أباح الإسلام للمرأة الصلاة في المسجد، والحج والعمرة.. بشرط أن تكون في صون وأمان، وبعيدة عن الفتن...

فقال الجد علي: هذا صحيح يا ابنتي، ولكِ ما تريدين، بارك الله فيكِ.

أما محمد فقال: أما أنا يا جدي سأصلي معـــك في المسجد؛ لأنني سمعت من المُعلم أن صلاة الرجل في المسجد خير من الصلاة في البيت؛ لأنها النـــواة الأولى لوحدة المسلمين، خلف إمام واحد؛ لذلك جعل الله ثواب صلاة الجماعة أفضل من صـــلاة الفرد بسبعة وعشرين درجة..

فقال الجد: حسنًا، هذا صحيح يا محمد، بارك الله فيك...

* * *

ذهب الجد علي ومحمد إلى المسجد، وظلّ الجد وهو في طريقه إلى المسجد يـــردد بعـــض آيـــات القرآن الكريم وبعض الأدعية..

فقال محمد يا جدي: دائمًا أسمعك تقرأ بعضَ آيات القرآن وبعضَ الأدعية، فلماذا تفعل ذلك دائمًا؟

فقال الجد: يا بني إن ذكر الله فضله عظيم، ويجعلُ الإنسانَ دائما مع الله، ويحفظ الإنسان من الشيطان..

فقال محمد: أعاهد الله أن أحافظ على ذكر الله دائمًا.. وسأُ ...م أصدقائي وأصحابي ذلك..

فقال الجدُ: إنك ولدٌ صالح.. بارك الله فيك..

ثم دخل الجد المسجدَ بِرجلِه اليُمنى، أما محمد فقد دخل بِرِجْلِه اليُسْرَى..

فقال الجد: يا محمد علَّمنا رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أن ندخلَ المسجدَ بالرِّجلِ اليُمنى، ونخرج من المسجد بالرِّجل اليُسْرَى، ونحن نحب

رسولَنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ومَن يحب شخصًا فلابد أن يطيعه ويسمع كلامه..

فقال محمد: أعاهد الله أن اسمع كلام الله وكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كل وقت وفي كل حين، وسأُعُلِّم أصدقائي وأصحابي ذلك أيضًا..

ثم صلى الجد ومحمد ركعتي سنة الفجر، وبعد إقامة المؤذن للصلاة، صلى الجميع صلاة الفجر..

ثم خرج الناسُ من المسجد بعد أن ختموا الصلاة..

أما الجد ومحمد فقد جلسا معًا في المسجد يقرأون جزءًا من القرآن الكريم..

* * *

تسامح الإسلام مع أهل الكتاب:

ثم خرج الجد ومحمد من المسجد وهما في غاية الانشراح والقرب من الله..

وهما في الطريق إلى البيت، سمعا صوتَ رجلٍ يقول: آه آه آه آه......

فقال محمدٌ: مَن هذا الذي يتألم يا جدي؟.

فقال الجد: إنه صوت أخي بطرس المسيحي.

فقال محمد: يا جدي إنك تقول: أخي بطرس المسيحي، يا جدي، لماذا تقول عنه إنه أخوك، وهو غير مسلم، إنه مسيحي...!!

فقال الجد: يا محمد إننا جميعًا أخوة.. أبُونَا آدم، وأمُّنَا حواء، إذن نحن جميعًا أخوة وتربطنا رَحِمٌ واحدةٌ..

يا محمد هيا بنا نذهب إليه؛ لأنه مريض ويحتاج إلى المساعدة...

فدخلا عليه، وقال له الجد علي: صباح الخير يا أخ بطرس.

فقال: صباح النور يا حاج علي.

فقال الجدُ: كيف حالك يا رجل؟.

فقال العم بطرس: الحمد لله على كل حال.. أنا مريض، وعندي حمى منذ شهرين، جاءت لي بعد أن ماتت زوجتي كريستين..

فقال محمدٌ: ألف سلامة يا عم بطرس..

فقال العم بطرس: شكرًا لك يا محمد..

فقال الجد: ألا تطلب منَّا شيئًا؟

فقال: شكرًا لك يا حاج علي...

فقال الجد: سوف نُحضر لك طعامَ الإفطـــارِ، وبعدها نُحضِر لك الطبيب.

ثم عاد الجد ومحمد إلى البيت وجهَّزوا الطعـــامَ للعم بطرس..

وقال الجد: يـــا أبنـــائي إنَّ الإســـلام يأمرنـــا بالإحسان للجار مهما كانت ديانته.. فقد كـــان هناك جار يهودي للنبي (صلى الله عليه وســـلم) يؤذيه، ويلقي القمامة والقاذورات كل يوم أمـــام باب النبي (صلى الله عليه وسلم).. وذات يـــوم لم يجد الرسولُ (صـــلى الله عليـــه وســـلم) هـــذه القاذورات أمام بيته، فسأل عن هذا الرجل فوجده مريضًا، فذهب ليزوره في بيته ويقدم له المساعدة..

فهذا موقف من مواقف النبي (صلى الله عليـــه وسلم) مع اليهودي، الذي دخل في الإسلام عـــن

قناعة تامة؛ بسبب تسامح النبي (صلى الله عليه وسلم) معه..

أما العم بطرس فهو مسيحي ومن أهل الكتاب..

فقالت مريم: يا جدي ما معنى أهل الكتاب؟.

فقال الجد: أهل الكتاب هم الذين أنزل الله لهم كتاب من عنده؛ فاليهود أهل كتاب؛ لأن الله _عز وجل_ أنزل التوراةَ على نبيهم سيدنا موسى _عليه السلام_، أما المسيحيون فقد أنزل الله _تعالى_ الإنجيلَ على نبيهم سيدنا عيسى (عليه السلام)..

والله _عز وجل_ أخبرنا في القرآن الكريم أنَّ النصارى، وهم المسيحيون، أقرب الناس إلى المسلمين، وأمرنا بالإحسان إليهم... وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أمرنا أيضًا بالإحسان

إليهم، وعدم إيذائهم، وقال لنا بأن مَن يـــؤذيهم سيخاصمه الله ورسوله يوم القيامة...

فقال محمد: يا جدي سأذهب إلى العم بطـــرس لأعطيه طعام الإفطار..

وقالت مريم: وأنا كذلك يا جدي.

فقال الجد: بارك الله فيكم.. أما أنا ســـأذهب لأُحْضِرَ له الطبيب..

فقال محمدٌ: أريد أن أذهب معك يـــا جـــدي، حتى أحصل على الأجر العظيم من الله تعالى..

فقال الجد: سأنتظرك بعد أن تعود من عند العم بطرس.. وأرجوك ألا تتأخر عليَّ يا محمد حتى نأتي بالطبيب قبل أن يذهب إلى المستشفى؛ لأن الرجل مريض جدًا...

فقال محمد: حاضر يا جدي..

المساواة بين الأبناء:

وبعد أن عاد محمد ومريم من عند العم بطرس، فرح الجد بهما، وقَبَّلَهُمَا كل واحد قُبْلَتَين..

فقال محمد وهو يعاتب جده: لماذا لم تُقبلَني أربع قبلات، ضِعف ما قَبَّلَتَ مريم؟

ألم يعطِى الإسلامُ للرجلِ ضِعفَ مَا للمــرأة في الميراث؟!

فقالَ الجد وهو مسرور جدًا: بارك الله فيك يا محمد، إنَّ الإسلام أمرنا أن نُسوي بين الأبنـــاء في كل شيء!.. في العطف.. في الحنان.. في الحـــب.. حتى في القُبلة..

أما مسألة الميراث وأنَّ الرجل يأخذ ضِعف مـــا تأخذه المرأة، فهذه قسمة الله _عز وجـــل_؛ لأن الرجل هو المكلف بالإنفاق على أولاده وزوجته،

أما أموال الزوجة فهي لها، وليست المرأة مُطَالَبة بالإنفاق على بيتها، إلا برغبتها.. كما أن المرأة في كثير من الأحيان تأخذ أكثر من نصيب الرجل في الميراث..

عمومًا هذه قسمة الله وهو أعلم بنا منا.. وسوف تتعرفون أكثر على قضايا الميراث عندما تكبروا.. بارك الله فيكم..

وفي المساء سوف أحكي لكم قصة رجل عظيم من عظماء الإسلام، تشتمل على كل معاني الحب، والعدل، والإحسان، والإخاء، والزهد، والتواضع، والإيثار...

فقالت مريم: ومَن هذا الرجل العظيم يا جدي؟.

فقال: في المساء سوف تعرفين عليه بمشيئة الله..

* * *

الرحمة بالضعفاء:

ثم قال الجد: لقد تأخرنا على الطبيب..

يا محمد: هيا بنا نذهب إلى الطبيب..

وركب محمد وجده الأتوبيس، وجلسا على المقاعد، وإذا بالجد يجد امرأةً عجوزًا تقف في وسط الزحام، وتتألم من حركة السيارة، فإذا بالجد ينادي عليها، ويقف هو، ويُجلسها مكَانَه...

وبعد أن نزل محمدٌ وجدُّه من السيارة، قال محمدٌ: يا جدي، لماذا قمتَ من مقعدك وأجلستَ المرأة مكانك، وأتعبت نفسك بالوقوف في الأتوبيس؟ وكنتَ أنت أولى بالجلوس منها؛ لأنك جدي وقريبي...؟

فقال الجدُّ: يا محمد إنَّ الإسلامَ يأمُرنَا بالرحمة بالضعفاءِ وكبارِ السنِ، وأنَّ مَنْ يرحم الناسَ وهو

صغير فسيجد مَن يرحمه وهو كبير؛ لأنك كما تدين تُدان، وأنَّ مَنْ يرحم الناسَ في الدنيا فسيرحمه الله _تعالى_ يوم القيامة... يا محمد يجب على الصغار والشباب أن يرحموا الكبار في كل الأمور؛ حتى يَرْضَى عنهم الله، ويدخلهم الجنةَ يومَ القيامة..

فقال محمد: آسف يا جدي على ما حدث مني، فكان يجب عليَّ أنْ أقوم لها؛ لتجلس هي مكاني.. لقد تعلمتُ درسًا لن أنساه طوال حياتي، وسوف أرحم كل الناس خصوصًا الضعفاء وكبار السن..

فقال الجد: وفقك الله _تعالى_ إلى ما يحبه ويرضاه يا بُني..

* * *

ليلة الرؤية:

وفي المساء وبعد أن تناول العم بطرس طعـــام العشاء وتناول الدواء.. انصرف الحاج علـــي إلى المنـــزل..

فقالت مريم: يا جدي لقد قلتَ بأنك ستحكي لنا في المساء قصة رجل عظيم من عظماء الإسلام، تشمل كل معاني الحب والعدل والإحسان والإخاء والزهد والتواضع...

فقال الجد: نعم سوف أحكي لكم الليلة قـــصة سيدنا عمر بن عبد العزيـــز، خـــامس الخلفـــاء الراشدين (رضي الله عنه)..

فقال محمد: تفضل يا جدي.

وقبل أن يتحدث الجد طرق باب البيت، فقام محمدٌ ففتح الباب، فوجد أقاربه قد جاءوا لزيارتهم، وليحتفلوا معهم باستطلاع دار الإفتاء لهلال شهر رمضان..

وقام الأطفال (يوسف ومعاذ ورضوى وشيماء وإيمان وعمرو وآية..) بإلقاء السلامِ على جدهم.

فقال الجد: مرحبا بكم جميعًا.. مرحبا بكم يا أولادي الصغار..

الرجل العظيم:

وقال الجد: سأقدم اليوم لكم رمزًا من رموز العدالة والتسامح على مر التاريخ، وإنها لفرصة عظيمة أن تستمعوا مع محمد ومريم إلى قصة سيدنا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) وتسامحه..

ففرح الجميع، وقالوا: تفضل يا جدنا.

فقال: هو الخليفة العابد الزاهد العادل الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان.. يتصل نسبه من ناحية أمه بسيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولذلك ورث منه كثيرًا من الصفات النبيلة..

فقالت مريم: متى وُلِدَ سيدنا عمر بن عبد العزيز؟

فقال الجد: وُلِدَ سنة ٦٢ من هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

فقال محمد: وفي أي مكان وُلِدَ؟

فقال الجد: بمدينة حلوان بالقرب من مدينة القاهرة، وقت أن كان أبوه حاكمًا على مصر.. وهناك من العلماء مَن يقول: بأنه وُلِدَ بالمدينة المنورة..

فقال يوسف: حدثنا عن نشأته يا جدي؟

فقال: عاش عمر السنوات الأولى من حياته مع أعمام أمه بالمدينة المنورة، فتعلم في هــذا المكــان المبارك كثيرًا من المبادئ الراشدة، فنبــت نباتًــا حسنًا..

وكان يسكن القصور ويعيش في نعيم ورخاء.. وكانت له أموال ضخمة وأراضي كثيرة في الحجاز والشام ومصر واليمن والبحرين، تدر عليه كــل عام أربعين ألف دينار..

وكان يزود قصوره بأفخر الأثاث، وكان مبالغًا في التنعم وحسن المظهر.. وكان يستعمل أغلــى أنواع الطِّيب (الروائح)، لدرجة أنه كان إذا مشي في مكان عرف النَّاسُ أنَّ عمر قد مر من هنا مــن خلال رائحته...

زواجه:

قال معاذ: ومتى تزوج ومَن هي زوجته؟

قال الجد: لما شبَّ عمر تزوج فاطمة بنت عمه عبد الملك، بنت الخليفة وأخت الخلفاء..

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يقربه ويحبه، لأنه كان حسن السيرة والسمعة..

أتته الخلافة:

قالت آية: كيف وصل عمر إلى الخلافة؟ وهل سعى وحارب للوصول إليها؟

قال الجد: كان عمر (رضي الله عنه) من الخلفاء القلائل الذين سعت لهم الخلافة دون أن يسعوا إليها، أو يحاولوا الحصول عليها؛ بل إنه كان حريصًا علي إبعادها عن نفسه، ويرى أنَّ فيها امتحانًا قاسيًا يثقل عليه حمله..

قالت مريم: إذن ماذا حدث يا جدي؟

قال الجد: كان سليمان بن عبد الملك يُظهر إعجابه به ويراه أنه أكفأ بني قومه بالخلافة، فلما مرض سليمان استشار وزيره العالِم رجاء بن حيوة فيمن يتولى الخلافة من بعده، وسأله عن رأيه في عمر ابن عبد العزيز.

فقال رجاء: إنه أفضل الرجال، وأثنى عليه ثناءً جميلا..

عندها رأى سليمان أن يجعله ولى عهده..

أما سيدنا عمر بن عبد العزيز فقد أدرك بفطنته أنَّ سليمان سيجعله ولي عهده..

فذهب إلى رجاء وقال له: يا رجاء، إنني أرى أنَّ أمير المؤمنين في الموت، وقد يعهد بالخلافة لي، وأنا أناشدك الله إن ذكرني بشيء من ذلك، فعليك

أن تصده عني، وتقول له إنـــه لا يـــصلح، وإن لم يذكرني، فلا تذكره بي؛ لأنني لا أريـــد أن أتـــولى الخلافة أبدًا..

ولكن رجاء بحيلته استطاع أن يصرف نظر عمر بن عبد العزيز عن الحديث في هذا الموضوع، وقال لـــه يا عمر: لقد فهمت الأمور فهمًا خاطئًا..!!

يا عمر: أتظن أن بني عبد الملك يـــدخلونك في أمورهم..!!

فقال عمر: الحمد لله..

وهكذا استطاع رجاء أن يخدع عمر حـــتى لا يتكلم في هذا الموضوع، في هذا الوقت الحرج..

فسكت عمر ولم يتكلم بعـــد ذلـــك في هـــذا الموضوع..

قال محمد: إذن كيف جاءت الخلافة إليه؟

قال الجد: تم الاتفاق السري بين الخليفة سليمان وبين رجاء على أن يتولى عمر الخلافة مِن بعده، وكتب بذلك عهدًا، وأعطاه لرجاء، وطلب سليمان من بني أمية ومن قادة الجند أن يبايعوا بعد موته الرجلَ الذي ارتضاه الخليفة لهم فبايعوا..

ولما مات سليمان، كتم رجاء خبر وفاته، وجمع الناس، وطلب منهم تكرار الموافقة والبيعة لمن رشحه واختاره لهم الخليفة الراحل سليمان ففعلوا..

ثم أخبرهم رجاء بأن الخليفة قد مات..وقرأ الكتابَ، وأعلن أن عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الجديد..

قال يوسف: وماذا فعل سيدنا عمر؟

قال الجد: صعد المنبر وقال: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر وليس لي رأي فيه ولم أطلبه أبدًا..

وإني قد خلعت نفسي من بيعتكم، فاختاروا لأنفسكم خليفة غيري، وبدأ عمر يترل من فوق المنبر، ولكن الناس صاحوا به: قد اخترناك يا عمر، وبايعوه.. وبذلك تولى الخلافة.. وكان ذلك سنة ٩٩ هجرية..

تغيرت الحياة:

وبعد أن رجع سيدنا عمر من دفن سليمان أصابه الهم والغم..

فقال له خادمه: ما لي أراك في غمٍ وهمٍ يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر: لقد أصبحتُ مسئولاً أمام الله ـعز وجلـ عن كل فرد من أفراد الأمة، وملزمًـــا أن أوصل إلى كل واحد منهم حقـــه دون أن يطلبـــه مني..

ودخلتْ عليه زوجتُه بعد أن تـــولى الخلافـــة مباشرة فوجدته يبكي..!!

فقالت لـــه هل حدث شئ يبكيك؟

فقال: نعم، لقد توليت أمر أمه محمد (صلى الله عليه وسلم) ففكـــرت في الفقـــير، والمـــسكين، والجائع، والمريض، والعاري، والمقهور، والمظلوم، والغريب، والأســـير، والـــشيخ الكـــبير، وابـــن السبيل... وعلمتُ أنَّ الله ـعز وجلـ سيسألني عنهم جميعا يوم القيامة، فبكيت..!!.

وبعد أن كان عمر يعيش في النعيم، بدأ يحاسب نفسه، فجرَّد نفسه من أمواله، وردَّ الأراضي التي كان قد ورثها إلى بيت مال المسلمين.. وخلع ثيابه الناعم اللين، ولبس الثياب الخشنة!!

وكان يبحث عن كساءٍ أكثر منه خشونة، وغسل الطيب والروائح عن نفسه، وباع ما عنده من ملابس وعطور، ووضع أثمانَهَا في بيت مال المسلمين..

وجيء بالخيل والبغال والمراكب التي كان يركبها الخلفاء من قبل، فباعها ووضع أثمانها في بيت المال..

وترك الطعام الجميل، وأخذ يأكل الطعام الجاف، وبدأ يخدم نفسه بنفسه، ولم يسمح لأحد من الناس أن يخدمه...

قالت مريم: وماذا فعلت زوجته معه؟

قال الجد: قال عمر لزوجته _التي كان لها جواهر ضخمة ورثتها عن أهلها_: يا فاطمة، قد علمت حال هذه الجواهر، ومن أين أصابه أهلك، فإما أن تختاريني وتتركيها، وإما أن تختاريها وتتركيني...

فاختارت أن تعيش مع عمر في منتهى البساطة، وردت الجواهر إلى بيت المال..

وأصبح عمر وزوجته، وبيته في غاية التواضع والزهد..

وقد جاءت امرأةٌ من العراق تطلب عطاءً لها ولبناتها الخمس، فدخلت المرأة على فاطمة زوجة عمر، فسلَّمت وجلست، ثم رفعت بصرها، فلم

تر في البيت شيئًا ذا بال، فقالت: إنما جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخراب..

ولما جاء عمر، وعرف حال المرأة بكى، وفرض لها ولبناها ما يكفيهن من بيت مال المسلمين..

أما خدم عمر حينما تولى الخلافة، فقد ظنوا أنهم ملكوا الدنيا كلها، فلما صاروا إلى التقشف حزنوا لولايته وتفرقوا عنه..

إصلاحاته:

قال عمرو: حدثنا عن أهم إصلاحاته يا جدي.

قال الجد: استطاع سيدنا عمر القيام بعدة إصلاحات في مختلف الميادين، فبذل كل جهده في نشر الدعوة الإسلامية في أقطار الأرض، فكتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة، على أن تبقى أملاكهم وإماراهم تحت أيديهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم..

وكانت سيرة عمر قد جذبتهم إليه، فأسلموا، وتسموا بأسماء العرب...

كما أرسل إلي ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب له بعضهم، كما استجاب له آخرون غيرهم..

وكتب إلى (ليو) الثالث إمبراطور الروم، يدعوه إلى الدخول في الإسلام..

كما أمر ببناء الاستراحات في الطرق كي تكون محطات يأوي إليها الغرباء والمسافرون والمنقطعون..

أما الأرض المغتصبة فأعادها إلى أصحابها أو إلى بيت المال إن لم يكن لها صاحب..

وسارع عمر فخلع الحكام الظالمين القساة الذين عاثوا في الأرض فسادًا..

وأعلن عمر في الناس أنَّ مجلسه لن يجمع إلا من اتصف بالعدل والتقوى، وقال: من صحبنا فليصحبنا بخمس، وإلا فلا يقربنا أبدًا:

- يرفع إلينا حاجةَ مَن لا يستطيع رفعها.
- ويعيننا على الخير.
- ويدلنا على الخير.
- ولا يغتاب أحدًا.
- ولا يتحدث فيما لا يعنيه.

فالتف حوله الفقهاء والعُبَّاد والزهاد، وكانوا يجتمعون كل ليلة، فيتذاكرون الموت كأنَّ بينهم جنازة!!

أما الخطباء والشعراء، وطلاب المال فعلموا أنه ليس بصاحبهم فانصرفوا عنه..

* * *

تسامحه مع غير المسلمين:

قالت إيمان: وماذا فعل سيدنا عمر بـــن عبـــد العزيز مع غير المسلمين؟

قال الجد: لقد كان سيدنا عمر بن عبد العزيز مضرِب المثل في التسامح معهم، والإحسان إليهم؛ فقد أوقف الحروبَ مع غير المسلمين، وكذلك مع المتمردين من المسلمين..

قال محمد: وماذا فعل يا جدي؟

قال: استبدل عمر الحروب، بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحـــسنة، دون إكراه أو إجبار..

وبسبب عدله ورفقه وتسامحه مع المسلمين وغير المسلمين دخل كثيرٌ من المـــصريين والـــسوريين والفرس في الإسلام..

كما خفف عمر من أثقال الخراج (الـــضرائب) الذي كان يؤخذ من النصارى.. وأوقـــف أخـــذ الجزية ممن دخل الإسلام منهم؛ فأقبل الناس علـــى الإسلام، تقديرًا للإسلام ولعمر العادل..

وقد كتب لـــه رجل ممن يجمعون الجزية يقول له: يا أمير المؤمنين: إن هذا يضر بالجزية..

فقال يوسف: وماذا كان رده عليه؟

فقال الجد: أرسَل سيدنا عمر إليه خطابًا شديد اللهجة، يقول فيه: "قَبَّح الله رأيك، ارفع الجزيـــة عمن أسلم، فإن الله _عز وجل_ بعـــثَ محمـــدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا" للأموال.

قال يوسف: وماذا فعل مع الخوارج والمتمردين من المسلمين؟

فقال الجد: أما الخوارج فقد أعجبوا بسيرته وأعماله العظيمة، والتقوا مع عمر للتفاهم معه بالحجة. فعلَّمَهم بخلقه وعلمه وبيانه وحلمه وتسامحه، فانصاعوا له..

وسوَّى عمر بين العرب وغيرهم..

ومن إصلاحات عمر في البريد أنه لم يجعله لحمل الأخبار الرسمية إليه فقط من حكام الأقاليم والموظفين كما كان من قبل، وإنما جعله لخدمة الناس أيضًا؛ حيث أمر أن يتسلم عامل البريد كل الرسائل التي تُعطى إليه لتوصيلها إلى أصحابها..

كما قام بإصلاح الكثير من الأراضي للزراعة، وحفر الآبار، وعمّر الطرق..

واهتم اهتمامًا كبيرًا بالمحتاجين والمرضى..

وأكثر من بناء المساجد في أقاليم الدولة الإسلامية.. لكنه لم يكن يزينها؛ لأنه كان يفضل أن يدفع هذه الأموال للفقراء والمساكين..

ولقد طلب منه أحد ولاته أن يقيم سورًا حول المدينة ليحصنها به..

فقال له: حصِّنها بالعدل؛ لأن العدل إذا ساد بين الناس، ساد الأمان والاستقرار..

تلاشي الفقر في عصره:

قال معاذ: حدثنا عن الفقر والفقراء في عصره.

فقال الجد: اختفى الفقر في عهده تماما، ولم يَعُد له وجود تقريبًا، حتى كان دافع الزكاة لا يجد من يأخذها منه...

فأخذها عمر ووضعها في بيت المال، وسدد ديون المدينين، وزوج الشباب الذي لا يستطيع

الزواج، وأعتق العبيد، وظل المال وكأنه لم يمسسه أحد..!!

وكان الذئب في عصره يحرص الغنم..!!

فقالوا له: يا أمير المؤمنين، كيف يحرص الذئب الغنم؟

فقال: أصلحتُ ما بيني وبين ربي؛ فأصلح الله ما بين الذئب وما بين الغنم..

سياسته مع عماله:

قال محمد: كيف كانت سياسته مع الموظفين في الدولة؟

قال الجد: كانت سياسة عمر مع موظفيه، سياسة رائدة، حيث أحسن اختيارهم، ورفع مرتباهم حتى وصل مرتب الموظف أحياناً إلى ثلاثمائة دينار..

ولما سُئِل عن ذلك قـــال: أريـــد أن أغنـــيهم وأبعدهم عن الخيانة..

قالت مريم: وماذا فعل الموظفون بعد ذلك؟

قال الجد:كان من الطبيعي أن يسير الموظفـــون على نحو ما أراد عمر؛ لأنه أحـــسن اختيـــارهم، وأصلح أحوالهم، وأحسن مراقبتهم..

وكان يخرج مع وزيره مزاحم لـــيلاً ليراقـــب الرعية، وذات يوم رأى قافلة مسافرة من المدينـــة المنورة إلى الشام، فسئل قائدها، عن أحوال المدينة وأحوال الناس فيها _وهو لا يعرفهما_ فقال: إني تركت المدينة والظالم بها مقهور، والمظلـــوم بهـــا منصور، والغني موفور، والعائل مجبور..

ففرح عمرُ، وتمنى من الله _تعالى_ أن تكـــون البلاد كلها على هذه الحالة.

وفاته:

قالت آية: حدثنا عن وفاته

قال الجد: قبيل وفاة عمر مات أعوانه: سـهل أخوه، وعبد الملك ابنه، ومزاحم مولاه.

ولما دخل المرض على عمر، قام وتوضأ، ثم أتى المسجد فصلى ركعتين ثم قال: "اللهم إنـك قـد قبضت سهلاً وعبد الملك ومزاحما، وكانوا أعواني فلم أزدد لك إلا حبًّا فاقبضني إليك وأنت عني راضٍ..

ولما حضرته سكرات الموت، جمع أبناءه، فلمـا رآهم بكى، ودمعت عيناه، ثم قال لهم: والله مـا نركتُ لكم من الدنيا شيئًا فإن كنتم صالحين فالله يتولى الصالحين..ثم قبّلَهم واحدًا واحـدًا، ودعـا لهم..

ولما أحسَّ بدنو أجله، اشترى موضع قبره بدير سمعان ودفن فيه بعد وفاته سنة١٠١ هجرية.

هذه مقتطفات من حياة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، قلما يجود الزمان بمثله..

وبعد أن، انتهى الجد من قصة سيدنا عمر بن عبد العزيز، إذا بالباب يطرق، ففتح محمد الباب، فوجد العم بطرس..!!

فقال الجد: لماذا جئت إلينا وأنت مريض جدًا يا رجل..؟

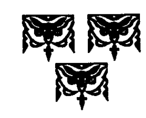
فقال: جئتُ لأقدم لكم التهنئة بحلول شهر رمضان، لقد سمعت المفتي الآن وهو يعلن أنَّ غدًا هو أول أيام الشهر الكريم، فكل عام

وجميع المسلمين والمسيحيين بخير، لأنه شـــهرنا جميعًا..

فرد الجميع: وكل عام وأنت بخير يا عـــم بطرس..

فقال الجد: هؤلاء هم المصريون، مـــسلمون ومسيحيون، نسيج واحد منذ القدم..

اللهم اجعل مصرنا في أمن وأمان واســـتقرار إلى يوم القيامة يا رب العالمين..



أهم المراجع

رجعنا في كتابة هذه القصة إلى المراجع التالية:

- (الدولة الأموية) للدكتور محمود محمد زيادة
- (موسوعة التاريخ الإسلامي) للـــدكتور أحمـــد شلبي .
- (تاريخ الخلفاء) للسيوطي
- وتاريخ الطبري.
- الدولة الأموية للدكتور السيد أحمد حمور.
- العقد الفريد لابن عبد ربه.
- تكون الاتجاهات السياسية في الإســلام الأول د. إبراهيم بيضون..
- بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلي د. عبد الحليم عويس .

الكاتب في سطور

أحمد علي سليمان

رئيس قسم الإعلام والنشر في رابطة الجامعات الإسلامية.

- من مواليد محافظة الغربية سنة ١٩٧٤م. حاصل على ماجستير الدراسات الإسلامية في الحديث النبوي الشريف سنة ٢٠٠١م بتقدير ممتاز، وليسانس الآداب والتربية جامعة الأزهر قسم الدراسات الإسلامية بتقدير عام جيد جدًا سنة ١٩٩٨م، ودبلوم الخطوط العربية والزخارف الإسلامية سنة ١٩٩٤م.

الخبرات العملية:

- يعمل خطيبا بمسجد السراج بمدينة نصر بالقاهرة من سنة ١٩٩٨ م وحتى الآن.
- يعمل سكرتيرًا لتحرير مجلة (الجامعة الإسلامية)، وسلسلة (فكر المواجهة) التي تصدرهما رابطة الجامعات الإسلامية.

- له أكثر من مائة مقال صحفي منشور في الصحف والمجلات المصرية والعربية.
- شارك في العديد من المؤتمرات الدولية داخل مصر وخارجها.
- عضو جمعية (أصالة) لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة بوزارة الثقافة.
- حصل على العديد من الجوائز في المسابقات العلمية أهمها: جائزة العمرة في بحث (أبو عبيدة ابن الجراح أمين الأمة) من وزارة الشباب والرياضة ١٩٩٨م. وجائزة المركز الثاني على مستوى مصر وأبناء العالم الإسلامي في مسابقة وقف نهوض الكويتي، في بحث (الدور الثقافي والاجتماعي للوقف في المجتمعات الإسلامية المعاصرة) ١٩٩٩م.. وغيرها

أهم مؤلفاته:

١. (إشراقات ليلة القدر) ط دار محيسن ٢٠٠١م.

٢. (أبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة) ٢٠٠٣ م.

٣. (مستقبل الأمن المائي العربي في عصر العولمة)، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية٢٠٠٤ م

٤. (مشروع إنشاء موقع الخط العربي على شـــبكة الإنترنت) ط دار محيسن ٢٠٠٤ م.

وتحت الطبع:

- تحقيق معجـــم كلمـــات الحـــديث، في صـــحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

- أدبيات إسلامية (الجزء الأول).

- الحل الإسلامي لقضية العنوسة.

- أخطاء شائعة في اللغة العربية.

e-mail:ahmed4481701@yahoo.com